الباب الأول
شعراء الفصحى

•• تمهيد :

: سيدة القصيدة العربية

•• الفصل الأول:

شعراء من التراث

•• الفصل الثانى:

شعراء معاصرون من البلاد العربية والإسلامية

•• الفصل الثالث:

شعراء معاصرون من مصر

●● تمهيد :

سيدة القصيدة العربية !

تعتبر سيدة الغناء العربى أم كلثوم فى طليعة الفنانين الذين ارتبطوا باللغة العربية الفصحى منذ صغرها .. هذا الارتباط بلا شك قد قواه وشد من أزره نشأتها الدينية الأولى فى أحضان ريف مصر وطريقة تلقيها التعليم الدينى فى كتاب القرية إلى جانب حضورها حلقات الذكر والإنشاد الدينى وتلاوة القرآن الكريم الذى كان يجيده والدها الشيخ إبراهيم البلتاجى.

ليس هذا فقط .. بل ونستطيع أن نؤكد فى السياق نفسه أن أم كلثوم فى هذه الخصوصية تعتبر الفنانة غير المسبوقة ـ سواء فى العصر الحديث أو فى غيره من العصور ـ التى غنت القصائد العربية بهذا الكم الكبير، مما جعلها تسهم مساهمة كبيرة فى الترويج لهذا النوع من الأدب العربى الراقى . وكان اختيارها دائماً لقصائد كبار الشعراء العرب سواء من القدامى أو المعاصرين خير دليل على ذلك.

والأمر المثير للدهشة أن أم كلثوم تلك الفتاة الريفية التى كانت فى بداية مشوارها الفنى مع مطلع العشرينيات لا زالت تحبو.. قد أقبلت إقبالاً كبيراً على التغنى بقصائد الشعراء العرب، رغم إمكانياتها المتواضعة آنذاك .. سواء من حيث الألحان أو من حيث مساحة جمهورها.

وقد يكون لارتباطها المبكر ببعض الملحنين المشهورين من الذين أحبوا الشعر العربى من أمثال الشيخ أبو العلا محمد علاقة أخرى بتلك البداية القوية. إذ تبين لنا ولغيرنا من المؤرخين أن معظم ما غنته أم كلثوم من قصائد عظيمة للشعراءالعرب القدامى ، قد تغنى بها من قبل الشيخ أبو العلا محمد نفسه.

وحتى من بعد هذه المرحلة، فقد ظلت أم كلثوم على ولائها غير المسبوق للشعر

العربى الفصيح، إذا أخذت على عاتقها وبصوتها الترويج لتلك النوعية من القصائد العربية والأشعار المشهورة، ليس فقط داخل النطاق المحلى حيث يتواجد الشعراء المصريون، بل نجدها قد أفسحت مجالاً أوسع حين استعانت بالعشرات من الشعراء العرب فى مختلف الدول العربية .. بل والإسلامية كذلك.

***

ولقد كان الشاعر العربى الكبير أبو فراس الحمدانى من أوائل الشعراء العرب الذين تغنت بكلماتهم سيدة القصيدة العربية .. حين قدمت له فى عام ١٩٢٦ جزءاً من قصيدته المشهورة «أراك عصى الدمع» ومن كثرة إعجاب أم كلثوم بهذه القصيدة ، وبهذا الشاعر ، فقد تغنت بها أكثر من مرة وبأكثر من لحن!!

كما كان لأم كلثوم فى الوقت نفسه تجارب أخرى عديدة مع قصائد أخرى لكبار الشعراء العرب من الذين عاشوا خلال العصر العباسى سواء الأول أو الثانى. من أمثال الشريف الرضى الذى غنت له أم كلثوم جزءاً من قصيدته «أيها الرائح المُجد» وهى من تلحين الشيخ زكريا أحمد فى فيلم «دنانير» عام ١٩٣٥ ، وكذلك الشاعر العباسى المشهور العباس بن الأحنف الذى غنت له جزءاً من قصيدته « يا بعيد الدار» من ألحان محمد القصبجى فى فيلم «نشيد الأمل».

كما غنت أم كلثوم للشاعر صفى الدين الحلى قصيدة «مثل الغزال نظرة» من تلحين الشيخ أبو العلا محمد فى عام ١٩٣١ . وقصيدة «أفديه إن حفظ الهوى» للشاعر المصرى ابن النبيه وهى من ألحان الشيخ أبو العلا محمد أيضاً فى عام ١٩٢٨ كما غنت للشاعر نفسه قصيدة أخرى بعنوان «أمانا أيها القمر المطل » من ألحان الشيخ أبو العلا أيضاً.

ويعتبر الشاعر الصعلوك ابن النطاح الحنفى الذى كان مشهوراً بلقب «أبووائل» من الشعراء العباسيين الذين غنت لهم سيدة القصيدة العربية أم كلثوم إحدى قصائد ديوانه والمعروفة بعنوان «أكذب نفسى» ، وهى كذلك من ألحان الشيخ أبو العلا، وقد غنتها فى عام ١٩٣١.

ولم يكن الشاعر العربى الفارسى المشهور عمر الخيام ببعيد عن صوت أم كلثوم إذ غنت له أشهر أشعاره وهى المعروفة بالرباعيات من ترجمة وصياغة الشاعر أحمد رامى.

***

وبإحصاء بسيط.. يتضح لنا أن كوكب الشرق أم كلثوم قد غنت لسبعة من فحول الشعراء العرب خاصة شعراء العصر العباسى الذى تميز بالرقة والغزل سواء فى إسلوبه أو موضوعاته. كما بلغ مجموع ما غنته هذه الفنانة العظيمة لهؤلاء الشعراء حوالى تسع قصائد..

وتؤكد الدكتورة رتيبة الحفنى أن أم كلثوم قد غنت هذه القصائد منذ بداية مشوارها الفنى فى طفولتها.. وقد تعلمتها عن طريق استماعها لفونوغراف العمدة ، كما حفظت بعض القصائد من والدها الذى كان يحرص على تقديم القصيدة ضمن أغانى حفلاته، وكان أستاذ أم كلثوم الأول فى هذا الميدان المطرب والملحن «الشيخ أبو العلا محمد» الذى التقى بها فى قريتها طماى الزهايرة قبل بدء حياتها الفنية فى القاهرة[١].

وتؤكد الدكتورة رتيبة أن هذه القصائد لم تكن ملحنة لصوت أم كلثوم، ولكنها أخذتها عن الشيخ أبو العلا ومن تسجيلاته حيث كان قد غناها من قبل بصوته.

كما يؤكد الناقد الفنى الراحل كمال النجمى فى السياق نفسه أن سيدة الغناء العربى قد تعلمت فن غناء القصائد من هذا الملحن العبقرى خلال السنوات الخمس التى صاحبته فيها من قبل رحيله .. وهذه القصائد لم يكن فيها لحن واحد صنعه أبو العلا لأم كلثوم بالذات، فهذه القصائد كلها غناها بصوته وسجلها على اسطوانات، ثم أعادت غنائها أم كلثوم.

وأشار كمال النجمى كذلك إلى أن أم كلثوم لم تتمكن من تسجيل سوى ست قصائد فى حياة الشيخ أبو العلا، وبعد وفاته سجلت بقية هذه القصائد[٢].

***

وحين نترك مجال القصائد العربية القديمة التى شدت بها كوكب الشرق .. لننتقل معها إلى شعراء العصر الحديث، نجد أن هذه الفنانة العظيمة قد واصلت نفس المشوار فى الإقبال على غناء قصائد الشعر العربى، ولكن بتميز أكثر وبراعة غير مسبوقة، وقد وصل مفهومها القومى نحو هذه الغاية حداً لم يلتفت إليه فنان غيرها فى عصرها.. إذ لم تقصر جهودها فى مجال الترويج للشعر العربى الحديث على مفهوم المحلية المصرية فقط .. بل

(١) أم كلثوم - د. رتيبة الحفنى.
(٢) تراث الغناء العربى - كمال النجمى.

اتسع نطاق اهتماماتها في هذا السياق ليشمل شعراء معاصرين من البلاد العربية والإسلامية.

ولسوف نتعجب حين نعرف أن عدد الشعراء المعاصرين من الذين تعاملت مع قصائدهم وكلماتهم أم كلثوم خلال الفترة الحديثة من مشوار حياتها، قد بلغ واحداً وعشرين شاعراً .. منهم سبعة شعراء من البلاد العربية والإسلامية من أمثال الأمير عبد الله الفيصل شاعر السعودية المشهور ونزار قباني الشاعر السورى المعروف- وجورج جرداق من لبنان والهادى آدم من السودان .. وكل من على أحمد باكثير ومحمد إقبال وقد غنت أم كلثوم لهؤلاء الشعراء أكثر من عشر قصائد عاطفية ووطنية ودينية.

وأما الشعراء المصريين المعاصرين فقد بلغوا أربعة عشرة شاعراً.. من أبرزهم أحمد شوقى أمير الشعراء وحافظ إبراهيم شاعر النيل وكل من على الجارم وابراهيم ناجى وعزيز أباظة وطاهر أبو فاشا وآخرين، كما بلغ ما غنته أم كلثوم من قصائد لهؤلاء الشعراء حوالى مائة قصيدة أو أكثر.

***

ونفس هذا الجهد الفنى المتألق والذى يعود فيه الفضل لأم كلثوم .. قد ظهر جليًا فى ميدان قصائد شعراء العامية .. الذين قدموا العشرات من أعمالهم الفنية الجميلة مكتوبة لكى تشدو بها كوكب الشرق.. وكأنما كان صوتها الشجى وتفرده فى كل شىء هو الحافز الكبير لتقديم تلك الإبداعات الشعرية الجميلة، والدليل لدينا موجود بيننا الآن، حيث لم نعد نسمع أو نقرأ مثل هذه الكلمات سواء فى مجال شعراء الفصحى أو العامية!

وكان لأم كلثوم فى هذا الميدان الجديد دور بارز فى الترويج لشعر العامية سواء بالنسبة للشعراء الهواة أو المحترفين. ولسوف نتعجب حين نعرف أن الموسيقار كامل الخلعى كان على رأس هؤلاء الشعراء من الذين كتبوا أغنية واثنين لأم كلثوم .. بل وكان بديع خيرى الكاتب المسرحى المشهور قد قدم كذلك لأم كلثوم أكثر من أغنية لكى تشدو بها . وقس على ذلك ما قدمه الشاعر مصطفى نجيب والد الفنان سليمان نجيب وغيره من شعراء وزجالى هذا العصر.

وأما على مستوى الاحتراف، فقد قدمت كوكب الشرق للساحة الأدبية والفنية العديد

من الشعراء من الذين كان لصوت أم كلثوم الفضل الأكبر فى إظهار مواهبهم وبشكل غير مسبوق، ولعل وجود شاعرين كبيرين مثل أحمد رامى وبيرم التونسى على رأس هؤلاء وضمن القائمة الطويلة .. يثبت ذلك وأكثر.

وحين يتدخل مقياس الحساب لمعرفة عدد الذين غنت لهم أم كلثوم من شعراء العامية نجد أن عدد الهواة من هؤلاء قد بلغ تسعة شعراء .. وقد غنت لهم حوالى عشر أغنيات ما بين دور وموشح وطقطوقة .. أما الشعراء المحترفون فقد بلغ عددهم أيضاً تسعة شعراء من الذين قدموا لأم كلثوم الكم الأكبر من أغنياتها المشهورة على مدى مشوارها الفنى الطويل .. وكان من أشهر هؤلاء بخلاف كل من بيرم ورامى، صلاح جاهين ومرسى جميل عزيز وأحمد شفيق كامل وعبدالوهاب محمد وعبد الفتاح مصطفى، ومأمون الشناوى.